المفهومُ القرآنيُّ للفظة (الصِّدّيق) بين عموم اللفظِة وخصوص المِصداق

أ.م.د. مديحة خضير كاظم

كلية الآداب- جامعة الكوفة

The Qur'anic Concept of al-Siddiq: Between the General Meaning of the Word and the Particularity of the Example

Assistant Professor. Madeha Khudhair Kadhim AL-Salami
Faculty of Arts – University of Kufa
madeeha.alsallami@uokufa.edu.iq

الخلاصة :

يدرس البحث المفهومَ القرآنيَّ للفظةِ (الصِّدِّيق) بمنهجِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ ، ؛لأنّ للمفرداتِ في التعبيرِ القرآنيّ مفاهيمَ غيرَ المفاهيمِ خارجَهُ ،واقتصر ميدانُ البحثِ على (القرآنِ الكريم)، وتتبّعِ مفردة (الصِّديق) فيه برصد مصاديقها المخصوصين الذين نَصَّ القرآنُ على صِدِّيقيتِهم ، بوصفِهم مجموعةً واحدةً وصفَهم القرآنُ بها، (إدريس، وإبراهيم ويوسف ، ومريم) عليهم السلام ،ومن ثَمّ تتبعُ المشتركاتِ بينهم الذي دعاه لإسباغ هذه الصفة لهم؛ لنصلَ إلى المفهومِ القرآنيّ للّفظةِ من خلالها. ثم الإجابة عن مشكلة البحث في مفهوم لفظة الصديقين في سورتي النساء (الآية ٦٩) والحديد (الآية١٩). اللتين وردت فيهما اللفظة دالةً العموم. وقد أبعد البحث الأحاديثَ النبويَّة وروايات

Abstract:

This research study examines the Qur'anic concept of the word (*Siddiq*) according to the methodology of using the Qur'an to interpret the Qur'an, because words in the Qur'anic expression possess different meanings than their meanings outside it. The scope of this study was restricted to the Holy Qur'an and it followed the word *Siddiq* in it, observing its particular examples whose designation as"*Siddiq*" was affirmed by the Qur'an, as a specific group described in the Qur'anic expression with the use of this word. These are: Idris, Ibrahim, Yousuf, and Maryam (peace be upon them). The study then follows the commonalities among them, which caused the Qur'an to confer this characteristic on these particular individuals, to finally arrive at the Qur'anic meaning of the word (*Siddiq*) through this query, and then answer the research question concerning the meaning of the word (*Siddiqin*) in the Qur'anic verses 4:69 and 57:19, where the word came to give a general meaning. The study excluded the Prophetic Hadith and other narrations attributed to the Prophet's Family and others,

أهلِ البيت وغيرهم، لأنّ هذا بحثٌ آخرُ.

because this will be the subject for a separate study in the future.

الكلمات المفتاحية:

الصّدّيق ، المفهوم القرآني، عموم، خصوص ،المصداق

Key words:

Al-Siddiq, The Qur'anic Concept, the General, Particularity, Example.

توطئة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيّدِ الخلقِ أجمعين محمد وآله، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وبعد، لا شكّ في أن البحثَ في المفاهيمِ القرآنية ليس يسيراً، لأنّهُ بحثٌ يتّصلُ بمقاصدِ منشئ القرآن، لذا علينا أن نتعاملَ معه على هذا الأساسِ، وإذا كانت الحال هذه فإننا ينبغي أن نتعاملَ بحذرٍ وتأنٍّ في رصدِ كلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ يمكنُ أن تضيءَ الطريقَ لنا للوصول إلى هذه المقاصدِ أو ما يقاربُها، غير أنّ هذا الفهمُ يبقى موكولاً إلى المعطيات اللغويّة في النصوص القرآنيّة؛ لأنّ النصَّ القرآنيّ نصٌّ لغويٌّ في الأساس، بمعنى أنه تراكيبُ لغويةٌ متراصفةٌ تعبّرُ عن مقاصدَ مخصوصةٍ قد تكونُ ظاهرةً بيّنةً في محلّها من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى قد تحتاجُ إلى قرائنَ لغويةٍ وسياقيةٍ مستقلةٍ لتبيانها، وإلى ما يمتلكُهُ المتلقي باحثاً أم قارئاً من أدواتٍ تعينُهُ على فهمِ هذا المقصدِ أو ذاك، أو الاقترابِ من المقصدِ الإلهيّ، فيبقى في دائرته على أقلّ تقدير إن لم يستطعْ أن يصلَ إلى المركز. إذ إننا نؤمنُ بأن النظامَ القرآني واحدٌ يكشفُ بعضُهُ بعضاً، ويضيءُ بعضُه بعضه تِباعًا.

ليس القرآنُ الكريم كتابَ حلالٍ وحرامٍ فحسب، ولا تُسرَدُ القصصُ فيه اعتباطاً، ولا تذكر فيه الشخوصُ ليؤرَّخ لها، بل هو كتابُ معارفَ كبرى، كتابُ اقترانٍ بين المفاهيمِ ومصاديقها الكبرى ومصاديقِها الفرعية. وتستمر هذه العلاقات في سلسلةٍ من الأبواب ينفتحُ بعضُها على الآخرَ ليكتملَ المفهومُ القرآنيَّ بإتقانٍ مُحكَمٍ، لأنَّ المنشئَ هو العليمُ الحكيمُ.

يدرس هذا البحث مفهوماً قرآنيّاً هو مفهومُ لفظةِ (الصِدّيق) بمنهجِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ ، ونؤكّد تعبيرَ (المفهوم القرآنيّ)؛لأنّ للمفرداتِ في التعبيرِ القرآنيّ مفاهيمَ غيرَ المفاهيمِ خارجَهُ ، " فالقرآنُ الكريمُ لا يسمي شيئاً ما باسمٍ إلا وينطبقُ عليه الاسمُ انطباقاً كاملاً لا نقصَ فيه . أي أنّ الصالحَ عندنا غيرُ الصالحِ في القرآنِ ، وكذلك الأمر في الشهيدِ والصدّيق. فالاصطلاحُ بما في ذلك الفقهيّ والدينيّ لا علاقةَ له بالأمرِ ما لم يصدرْ عن النبيّ (ص) . ومعلومٌ أنّنا لا نعلم صدقَ صدورهِ إلاّ من القرآنِ وذلك بالعَرض عليه، فالمرجعُ دوماً هو النصُّ القرآنيُّ الشريفُ". [النيلي، ٢٠٠٨: ٢٤-٢٥] لذا آثرت أنْ يبقى البحثُ في نطاقِ النّصوصِ القرآنيّةِ، وتتبّعُ مفردةِ (الصِدّيق) في القرآنِ الكريمِ من خلال رصدِ مصاديقِها في القرآنِ، بوصفِهم مجموعةً واحدةً وصفَهم القرآنُ بهذه الصفة، ومن ثَمّ تتبعُ المشتركاتِ بينهم ؛لنصلَ إلى المفهومِ القرآنيّ للّفظةِ من خلالها.

من هنا كان ميدانُ البحثِ (القرآنَ الكريم)، وبتعبيرٍ أدقَّ البحثُ فيمن نَصَّ القرآنُ على صِدّيقيتِهم. بعيداً عن مفهومِ الصِدّيقِ في الحديثِ النبويّ الشريفِ، والرواياتِ المرويةِ عن أهلِ البيتِ (عليهم السلام) وغيرِهم، فلعلَّ هناك من الباحثين مَن يأتي ويبحثُ هذا الجانب من اللفظة في هذه الروايات.

أولاً. المفهومُ القرآنيُّ الخاصُّ للصِدّيقيّةِ:

قال تعالى في كتابهِ العزيزِ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسولَهُ فأولئك مَعَ الذّينَ أَنْعمَ اللهُ عليهم من النّبيينَ والصدّيقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً﴾ (النساء : ٦٩)
عند القراءةِ الدقيقةِ للنصِّ الكريمِ نجدُ أنَّهُ يقرّرُ أموراً:

أولُها: أنَّ الآيةَ وردت في سياقٍ يبدأ من الآية ٥٩ إلى الآية ٧٠ يحُثّ المؤمنين على طاعةِ اللهِ والرسولِ، وردِّ البتِّ في أيِّ نزاعٍ يحدثُ إلى اللهِ ورسولهِ بوصفهِ خليفةَ اللهِ وسلطانَهُ في الأرضِ، وهذه الطّاعةُ والرّضا بحُكمِ اللهِ ورسولِهِ تستلزمُ مشقّةً كبيرةً في مُغالبةِ الهوى وجهادِ النّفسِ وكبتِ الشّهواتِ؛ لذا قرّر أنّ أجرَ مَن يطيعُ اللهَ ورسولَهُ هو رفقةُ هؤلاءِ لأنهم القدوةُ التي ينبغي أن تُحتذى.

إنّ النظامَ القرآنيَّ يقرّرُ حقيقةَ تقسيمِ الناس على قادةٍ وأتباعٍ ، ويتفرعون على مجموعات كبرى وأخرى فروعا عليها، لأنّ في الحساب يدعى القادة أولاً ثم الأتباع: ﴿يومَ نَدْعُو

كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم﴾ (الإسراء: من الآية ٧١)، إن كان إمامَ هدىً أم إمامَ كفرٍ. ودائماً ما يكون القادةُ أقلّ عدداً من الأتباع. [النيلي، ٢٠٠٨: ١٩-٢٤] لذا عبّرَ عن الأتباعِ بـ(مَن) لأنّها تدل على العموم كثروا أم قلّوا. والقادةُ هم المقصودون بقولهِ: ﴿الذين أنعم الله عليهم﴾، لذا عبّر عنهم بالاسمِ الموصول (الذّين)، الذي هو أخصّ من (مَن) [الصبان، ١٩١٨، ١٠٧/١ والسامرائي١٤٩/١]. وعلى الإنسانِ أن يتطلعَ إلى أن يرشدَهُ إلى صراطِهم لأنّه الصِراطُ المستقيمُ؛ لقوله تعالى في مفتتحِ كتابهِ العزيز: ﴿اِهدنا الصِراطَ المستقيمَ صراطَ الّذينَ أَنْعمْتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الّضالين﴾ (سورة الفاتحة : ٦-٧)، فهم أحدُ مصاديق جملة (الذِّينَ أنْعَمْتَ عليهِم)، فهؤلاء المذكورون مصاديقُ المجموعةِ الكبرى (المُنعَم عليهم) والصِدّيقون أحدها.

ثانياً: تقرّرُ الآيةُ أنّ أجرَ الأتباعِ المطيعين الدخولُ إلى مقام الصدّيقين برتبة المَعيّةِ والُصحبةِ لا أن يكونوا من جنسهم، وذلك بقرينتين لفظيتين: إحداهما حرفُ المعنى (مع) الذي يدلُّ على الصُّحبةِ، فلم يستعمل النصُّ (مِن) حتى لا يظنّ ظانٌّ أنّ هذه الصفةَ عامّةٌ شائعةٌ يمكن أن يتصفَ بها كلُّ مَن يطيعُ اللهَ ورسولَهُ، فشتّان بين دلالتهِ ودلالةِ (مِن) الجنسية، فـ(مع) تنصُّ على تغايرِ الطرفين في المرتبةِ، فهؤلاءِ فئةٌ وأولئك فئةٌ أخرى. وهذا "يدل على اللحوق بهم دون الصيرورة، فهؤلاء ملحقون بجماعة المنعَم عليهم وهم أصحابُ الصراط المستقيم. . . وبالجملة فهم ملحقون بهم غير صائرين منهم" [الطباطبائي، ١٣٩٧ ٣٤٥/٤ والزمخشري،٢٠٠١، ٥٦٢/١- ٥٦٣] جنساً وانتماءً.

والقرينةُ الأخرى هي الجملة الخاتمة للآية ﴿حَسُنَ أولئكَ رَفيقاً﴾، فتقريرُ الرفقة الحسَنة لهؤلاء تنفي الجنسيةَ وتقرّر المغايرةَ بين الطرفين؛ فحينما نقول: "فلانٌ يرافق العلماءَ"، هذا لا يعني أن يكونَ عالماً.

ثالثا: أنّ هذه الصفات وردت مُعرّفة بـ(أل)، والسؤالُ الّذي يمكن أن نسألَهُ هو: هل أنّ (أل) هذه للجنس أو العهد؛ وللإجابة علينا أن نتتبعَ النّصوصَ القرآنية لنرى إن كانت لفظةُ (الصدّيق) قد أُطلقَت وأُريدَ بها أشخاصٌ مخصوصون أم بقيت تكتنزُ دلالةَ العموم كما هي؛ لذا يمكن أن تكونَ علامةَ إحالةٍ على نصوصٍ أخرى. ويظهر ذلك جليّاً حينما نتتبعُ الآياتِ القرآنيّة التي أحال عليها القرآن في استعمال هذه المفردةِ، فالصِدّيقون معلومون

ومخصوصون بنصّ القرآنِ، وهذا ما تدلُّ عليه النّصوصُ القرآنيّةُ كما سنرى لاحقاً. إنّ هذه الآيةَ وسياقَها كلَّه تنصّ تصريحاً على أنّ المؤمنين المنقادين إلى الله تعالى ورسولِهِ، المجاهدين في ذلك أنفسَهم وشهواتِهم، سيكون جزاؤهم إلحاقَهم بالنبيّين والصِدّيقين إلحاقَ صحبةٍ، لا أنّهم منهم.

والسؤالُ المناسب للآية الكريمة هو: مَن هم الصِديّقون الّذين هم مصاديقُ هذه الآية؟

ولإماطةِ اللّثام عن المعنى القرآنيّ لهذه المفردةِ علينا أن نتتبعَ الآياتِ التي أحال عليها النصُّ السابقُ؛ لنقفَ على معرفة من هم الصِدّيقون بالمفهوم القرآنيّ، بمعنى من هم مصاديقُ هذه الصفة كما تقرّرُ النصوص القرآنيّة؟، ولماذا وسِموا بهذه السمةِ؟ وذلك من طريق رصدِ الخيط الناظم بينهم برصفِ المواقف المشتركة للظفر بالمفهوم القرآنيّ للفظ (الصِدّيق)

عند النظر في النصوصِ القرآنيّةِ نصلُ إلى أنّ القرآنَ الكريم قد خصَّ أربعةً من عباد الله صراحةً بهذه الصفة؛ ثلاثة منهم أنبياءُ (إبراهيم، وإدريس، يوسف) وواحدةً ليست كذلك، هي (مريمُ) عليهم السلام.

وهنا نتساءل عن أمرين هما: ما معنى لفظة (صِدّيق) بالمفهوم اللغويّ والمفهوم القرآنيّ؟ ومن أين اكتسب كلٌّ منهم صفةَ الصِدّيقية؟ أو بمعنى آخرَ: ما الرابطُ الذي يشتركون به لإسباغِ هذه الصفة عليهم؟

لا يختلف اثنان في أنّ القرآن الكريم عربيٌّ مبينٌ بسبب شهادة القرآنِ بذلك لنفسِهِ [سورة النحل: ١٠٣ وسورة الشعراء: ١٩٥]، أي إنّه خاطب العرب بما يفهمون بلسانِهم. والصيغةُ الصرفية للفظةِ صِدّيق هي(فِعيّل) بكسر الفاء وتضعيف العين، ويستعمل العرب هذه الصيغة للدلالة على المبالغة في إتيانِ أمرٍ ما؛ فهي من صيغ المبالغة عن اسم الفاعل؛ إذ كثيراً ما يحوَّل اسم الفاعل إلى أبنية المبالغة لقصد التكرارِ والتكثير؛ لأنّ المبالغة تفيد التنصيصَ على كثرة المعنى كمّاً أو كيفاً على المعنى الأصل، أما صيغةُ (فاعلٍ) فتحتمل القلّة والكثرة، وقد يُفهم هذا المعنى من مقولة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. [الصبان، ١٩١٨، ٢٩٦/٢]

يقال: رجلٌ صادِقٌ وصَدوقٌ وصِدّيقٌ؛ فلاشكّ في أنّ هناك تغايراً بين المعاني لتغايرِ المباني، فلكلّ صيغةٍ معناها واستعمالُها المخصوص الذي قد تقفُ عنده، أو قد تتعداه على وفق السياق الذي يقتضي ذلك "رجل صَدوق أبلغ من الصادق" [ابن منظور: مادة صدق]، بمعنى أن هناك معنىً زائداً، فـ(صادقٌ) تدلّ على معنى الصِدق ومَن يتّصفُ به، وقد يكون هذا الاتصافُ مرة واحدة وقد يكون أكثرَ. أما (صَدوقٌ) فيدلُ على اتصاف الموصوف بالمعنى على جهة المداومةِ والمبالغةِ، ولكنّ هذه المبالغة على جهة الفاعلية سواء أكانت صيغة مبالغةٍ عن اسم الفاعل أم صفةً مشبهةً، وفي هذا العدول يمكن أن نقولَ: إنّ هناك زيادةً في المعنى.

وأما الصَديق على وزن (فَعيل) فهو الذي بينك وبينه مُخالّةٌ، وهنا انتقلت الكلمة إلى مجالٍ دلاليٍّ أوسعَ، وإن كانت في الأصل تدلّ على المبالغةِ، لأنّ الصَديق هو من يَصدُقك المودّة. [العسكري، ١٩٧٩، ٣١٠- ٣١١] وقد انتقلت إلى الدلالة على رابطةٍ بين شخصين قوامُها القوةُ في الودّ.

أما في (فِعيّل)، فذهب اللغويون إلى أنّها تدلُّ على المداومة والمبالغة، ولكنّها أبلغُ من (فاعِل)، و(فَعول)، و(فَعيل)؛ لأن "الصِدّيق هو الدائمُ التصديق ، ويكون الذي يُصدِّق قولَهُ بالعمل". [الجوهري، ١٤٠٧، ١٥٠٦/٤، ابن منظور، مادة صدق] فصيغة (فِعيّل) تقال "لمن دام منه الفعل نحو: رجل سِكّير كثير السُكر، وخِميّر كثير شرب للخمر، ولا يُقال ذلك لمن فعل الشيء مرةً أو مرتين حتى يكثرَ منه ويكون له عادة". [ابن قتيبة، ١٩٦٣، ٢٥٥، العسكري، ١٩٧٩، ١٦٤، الهروي، د ت ، ٥٣- ٥٤]

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ "هذا البناء محوّل عن فَعّال كما حوّل مِفعيل عن مِفعال".[السامرائي، ١٩٨١، ١١٩]

وقد قصر المفسرون صفة (الصِديّق) على هذا المعنى لا تتعداه، فمفهومُ الصِدّيق هو "المداومُ التصديقَ بما يوجبه الحقَّ، وقيل: الصِدّيق الذي عادتُهُ الصِدقُ، وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل"[الطبرسي، ١٣٧٩، ١١١/٣] ، إذن هي صفةٌ ثابتةٌ ملازمةٌ لصاحبها لا تبرحُهُ، إذ تلحظُ فيها صفةُ الثبوتِ والاستقرار. ومنهم مَن يحذو حذوَ الصرفيين في أنّها للمبالغة في الصدق أو التصديق أو كليهما معاً. قال الرازي: "صِدّيق مبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصدق لأنّ هذا البناء يُنبئ عن ذلك يقال: رجلٌ خِمّير وسكّير

للمولع بهذه الأفعال". [الرازي، ٢٠٠٠، ٢٢٣/٢١] فهي مشتقّةٌ من الصِدق الذي هو ضدُ الكذب؛ والصِدّيقُ هو المُصدِّق لله ولرسلِهِ وكتبهِ على نحو المداومةِ والمبالغة، أو هو الذي يكون صادقاً في كلامِهِ على الدوام، أو هو الذي يصدّق عملُهُ كلامَهُ.

ويرى السيد الطباطبائي أنّ "الصِدّيق الذي لا يكذب أصلاً، هو الذي لا يفعل إلاّ ما رآه حقاً من غير اتباعٍ لهوى النفس، ولا يقولُ إلاّ ما يرى أنّه حقٌ ولا يرى شيئاً إلاّ ما هو حقُّ، فهو يشاهدُ حقائقَ الأشياء ويقول الحقَّ ويفعل الحقَّ"[الطباطبائي، ١٣٩٧، ٣٤٦/٤] ، فالطباطبائي يجعل مطابقةَ الفعلِ الكلامَ مكمنَ الِّصدّيقية، وصِدقَ الفعل مطابقتَهُ للقول؛ لأنّه يحكي عن الاعتقاد؛ فهي صفةٌ فيها شيءٌ من الذاتيّة. ولا نختلفُ معهم في كونِ (صِدّيق) تدلّ على المبالغة لوجود التضعيف في الصيغة التي هي أوضحُ علامةٍ للمبالغة. وكذلك ممكن أنّ نلمحَ منها الثبوت والملازمة للمتّصف بها على سبيل الدوام والاستمرار.

وبالرجوع إلى المعجم واستنطاقِهِ يمكنُنا الظفرُ باستعمالات العربيّة للفظة (صِدْق) ومشتقاتِها، بمعنىً آخرَ ما الذي يفهمه العربيُّ عندما يسمع كلمة (صِدق) أو (صادِق) أو (صِدّيق)؟

استعمل العرب لفظة الصِدق ومشتقاتِها للإشارة إلى أكثرَ من معنىً. أوّلُها (الصِّدقُ) نقيضُ الكذب. وفعلُهُ صَدَق يصدُق صِدقاً وصَدقاً، يقال: صدَّقه، أي قبل قولَهُ، وصَدَقه الحديث أنبأه بالصِّدق. ومِصداق الشيء حقيقته، ورجل صَدْقٍ مضافٌ بمعنى نعم الرجل هو، الصَدق الكامل في كلِّ شيءٍ، والصدِّيق من يصدّق بكلّ أمر الله والنبيّ عليه السلام.[الفراهيدي ،د،ت، ٥٦/٥، ابن منظور ، مادة صدق]

واستُعملت للدلالة على الصلابة والثبوت، فمعنى الصَّدق: الصلب' يقال: رمحٌ صَدْق، أي صلب. ويقال: هو صَدْق النظر. ومنه قولهم: صَدَقوهم القتالَ، ويقال: رجلٌ صَدْقُ اللقاءِ، وصَدْق النَظرِ. [الجوهري، ١٥٠٥/٤-١٥٠٦، ابن السكيت، ٢٢٢] من معاني الصِّدق الشجاعةِ، يقال للرجل الشجاعِ والفرس الجَوادِ: إنّه لذو مَصدَقٍ، أي صادقُ الحملةِ ، وصادق الجري، فالمَصْدَق الجِدُّ والصلابة. [الجوهري،١٤٠٧ ،٤/ ١٥٠٥ ابن منظور ، مادة صدق] والفرق بين الصداقة والمحبّة أنّ "الصداقةَ قوّةُ المودّة مأخوذة من الشيء الصَّدْق وهو الصُلْب القوي". [العسكري ،١٩٧٩ ، ٣١١] وقد أجمل ابنُ فارس القولَ في: أنّ "الصاد

والدال والقاف أصلٌ يدلّ على قوةٍ في الشيء قولاً وغيرَهُ، من ذلك الصِدْقُ خلاف الكذب؛ سُمّي لقوّتهِ في نفسِهِ؛ لأنّ الكذب لا قوّةَ له وهو باطلٌ. وأصل هذا من قولهم: شيءٌ صِدق أي صُلب. ورمحٌ صِدْق: أي يصيب هدفَهُ من غير أن يخطئَهُ. . . والصِدِّيق الرجلُ الكثيرُ الصدق".[ابن فارس، ١٩٩٩، الصاد والدال والقاف].

من هنا نخلص إلى أنّ المعنى الأول للصدق القوّة. وما الصلابة، والشجاعة، والحقيقة، والكمال، والجد إلا معانٍ متفرعةٌ عليه فكلٌّ منها لا يوجد في الشيء إلاّ إذا كان قوياً. أما معنى نقيض الكذب أو نقيض التكذيب، فما هو إلاّ أحدُ دلالاتِها، لا أن يُقصرَ عليها، بل غُلّبت لكثرة تداولها؛ من هنا نجد أنّ المبالغة في (الصدّيق) بوصفها صيغةً صرفيةً يمكن أن تكونَ مبالغةً للمعاني الأخرى التي تدلُّ عليها مادّةُ (صِدق)، فما المانع من كونها مبالغةً للشخص القويّ، أو الكامل، أو الشجاع، أو الجادِّ، أو الصُلب، أو الجريء. أو ربّما أنّها تطلق على الشخص الذي اتصف بهذه الصفات مجتمعةً.

الصِدّيقون في القرآنِ الكريمِ

سنحتكمُ إلى النصوصِ القرآنيّةِ التي أوردت هذه الصفة(الصِّديّق)؛ لنقفَ على المعاني المكتنَزة فيها؛ ونقفَ على الاستعمال القرآنيّ المخصوص لها.

أولاً: صدّيقيّة إبراهيمَ عليه السلام:

إنّ المنهج القرآنيّ في مَعرض حديثِه عن الأنبياء يطلعُنا على مستويين في صفاتهم: المستوى الأول مجموعةُ الخواص أو السمات العامّة التي يشترك بها الأنبياءُ، فلا يختصُّ بها نبيٌّ من دون نبيٍّ آخرَ كالعصمةِ، والشهادةِ على الأعمال ودعوتِهم الناسَ إلى عبادة الله وغير ذلك. والمستوى الثاني يتعلقُ بالخصوصية التي امتاز بها كلُّ نبيٍّ على حدة، وهذه الخصوصية ــ وإن كانت لطفاً إلهيّاً ــ لكنّها لا تخلو من جهدٍ استثنائيٍّ يبذلُهُ هذا العبد أو ذاك سواء أكان نبيّاً أم لا، ليرقى إلى المصافِّ العليا، وكلٌّ من هذه الخواص تصبّ في معرفة الذات المقدّسةِ ، وتجسيد الصفات الإلهية بالعمل الخالص؛ ليكونَ هذا العبدُ تجلياً من تجلياته سبحانه وتعالى علماً وعملاً. [الحيدري، ١٤٢٥، ٥٥]

قال الله تعالى في إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَاذْكرْ في الكِتابِ إبْراهيمَ إنّهُ كانَ صِدّيقاً نَبيّاً﴾(مريم ٤١). نلحظ في هذه الآية تركيبيّاً أنّ التعبير القرآنيّ قد قدّم الصِدّيقيّة على

النبوّة، وهنا تنبّه المفسرون إلى أنّ أهمية هذه الصفة وصلت إلى حدٍّ أنّها ذُكرت في الآية قبل النبوّة ؛لأنّها ممهّدة لتلقّي النبوّة.[الشيرازي، ١٩٩٦، ٤٠٣/٩]

وردت قصّةُ إبراهيمَ عليه السلام في سور مختلفة وبمشاهدَ مختلفةٍ إجمالاً أو تفصيلاً بحسب الغاية المبتغاة من ذكر القصة هنا أو هناك. وبضمّ بعضهَا إلى بعضها الآخرِ تكتملُ الصورة النهائية لمسيرة هذا النبيّ العظيم، ولكنّنا نرى سيرتَهُ مُجملة في سورة (الّصافّات) بدءاً من مشهد دعوتهِ قومَهُ، وتحطيمِهِ أصنامَهم، ومعارضتهم إيّاه، وكيف نجّاه الله وحماه، ومن ثَمّ هجرتُهُ إلى الله، فقضيّةُ الذبح والفداء، ونحسب أنّ هذه السورةَ تكشفُ لنا عن مكمنِ اكتساب صفة الصِّديقيّة التي وهبها الله تعالى لإبراهيمَ .(عليه السلام)؛ لأنّه جسّد بها عملياً أبهى صورِ الطاعة والانقياد والتسليم والتّصديق في سبيل المبدأ والعقيدة القائمةِ على الفطرة السليمة.

قال تعالى في إبراهيمَ (عليه السلام) واصفاً إيّاه بسلامة الفطرة: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾ (سورة الصافات).

ثم يذكر قصّتَهُ مع أبيهِ وقومِهِ وإنكارهِ عبادتَهم الأصنامَ وقصّةَ تحطيمِها، ومن ثم رميُهُ في النار عقاباً على فعلتِهِ بعد أن عجزوا عن محاججتِه، وكيف أنّ الله نجّاه على سبيل الإعجاز، ثمّ مفارقتَهُ قومَهُ بعد أن يئسَ منهم[الصافات ٨٥-٩٩]، ودعاءَه ربَّه بالذرّيّةِ الصالحة بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)﴾ (سورة الصافات).

فالامتحانُ الأعظمُ والابتلاءُ الشاقُّ الذي ابتُلي به إبراهيمُ (عليه السلام) هو هذه الرؤيا التي، بلا شك، كانت وحياً إلهياً وعاه إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام. وهذا هو المَحكُّ الذي سيُبيّنُ قوّةَ العقيدة والانقيادَ لله تعالى؛ فبعدَ هجرتِهِ للهِ تعالى، دعا اللهَ بالخلف

الصالحِ، فاستجاب اللهُ دعوتَهُ ووهبه غلاماً كبُرَ معه حتى بلغ حدَّ السعي والكدحِ، وإبراهيمُ بعيدٌ عن الأهل، حتى يرى في المنام أنّه يذبحُهُ قرباناً لله.

ويُدرك إبراهيمُ أنّ رؤياه نوعٌ من الوحي، فهو أمرٌ إلهيٌّ عليه تنفيذُهُ، فيعرض الأمر على ولده الوحيد مستهلّاً إيّاه بلفظة (يا بُنيَّ). فهو نداءٌ يُشعر بعاطفة الأبوّة؛ إذ لم ينادهِ باسمه وهذا ما يُشعرنا بثقل المَهمة التي كُلِّف بها إبراهيمُ، تقديم ابنه قرباناً، ثم يطلعه على الرؤيا كما هي ﴿إنّي أرى في المنامِ أنّي أذبحُكَ﴾، فهو لم يقل له: أوحي إليّ، ولا أُمرت ولا غيرها من العبارات، بل كاشفه بأنّ الأمرَ رؤيا في المنام. طالباً منه المشورةَ ﴿فانظرْ مَاذا تَرَى﴾. إنّ هذا الحوارَ يشعر المتلقي بأنَ إبراهيمَ (عليه السلام) يريدُ من ابنِهِ أن يشاركَهُ في اتخاذِ القرارِ وتنفيذِهِ، على الرغم من أنّه على يقينٍ من أنّ الأمرَ نافذٌ لا تراجعَ فيه، وكأنّه أراد من ابنه أن يحملَ عنه بعضَ العبءِ والمشقّة ليهونَ الأمرُ عليه. ويأتي الجواب بالإيجاب وبأسلوب بليغ يناسب الموقف ﴿قالَ يا أَبَتِ افعلْ ما تُؤمَرُ سَتَجدُني إنْ شَاءَ اللهُ مِن الَّصابرِينَ﴾. وهنا يتصدر أسلوب النداء بمقابلة مكتنزة بالبنوّة البارّة المؤمنة لتناسبَ نداء إبراهيمَ عليه السلام(يابُنيّ/ يا أبتِ)، وفعلُ الأمرِ الدالُّ على ثبات العقيدة (افعل ما تؤمر)، فقد أرجعَ الأمر كلّه للأمر الإلهي ليشعرَ أباه أنّه محضُ أداةٍ للتنفيذ، وليس له من الأمر شيءٌ. ويتمُّ تنفيذ الأمر بعبارة ﴿فلمّا أسْلَمَا وتلّهُ للجبينِ﴾، ثم يأتي النداء ﴿ونَاديناهُ أنْ يا إبراهيمُ قد صَدّقْتَ الرؤيا﴾، ليقول: إنّ (الّصدّيقية) هنا تجسدت سلوكاً عمليّاً بمعنييها (القوةِ والشجاعةِ في اتخاذ القرار) من جهةٍ، و(التصديقِ المطلق بالتسليمِ والانقيادِ للأمر الإلهي) من جهةٍ أخرى. فهذا موقفٌ يحتاج إلى جرأة وشجاعة منقطعة النظير في اتخاذ القرار المناسب. مما يؤيد المعنى اللغوي الأصل الذي يُرجعُ اللفظَة إلى القوّة والصلابة. ويبدو أنّ من ظِلال معنى الفعل (صدّقتَ) وهنا الإشارةَ إلى التطبيقِ والتنفيذ بحزمٍ وتسليمٍ شجاعين.

ولو سألنا: لمَ كان اختبارُ صدّيقيّةِ إبراهيمَ عليه السلام في ابنِهِ وليس في شيء آخر؟ نقول : إنّنا لو عدنا إلى النصوص القرآنيّة لوجدنا أن قضيّةَ الذرّيّةِ الصالحة كانت مرافقةً لإبراهيمَ عليه السلام على الدوام ، ويكفي أن تراجع سورة البقرة: الآيتان ١٢٤ و١٢٨، وسورة إبراهيم: الآيتان: ٣٥ ــ ٤١ ، فلم نره يطلبُ لنفسه شيئاً إلاّ وطلبَه لذرّيّته؛ فقضيّة الذريّة الصالحة كانت همّاً لإبراهيم حرص عليه كثيراً لأنّها ستكون امتداداً للنبوّة والإمامة.

ففي هذه المرحلة من حياتِهِ كان إسـماعيلُ هو امتداد النبوّة التي ينشـدها إبراهيمُ، ومن الصعب التضحيةُ به لأجلِ رؤيا رآها؛ إذ لم يبلِّغ إبراهيمُ بالأمر الإلهيّ من طريق مَلَكِ الوحي جبرائيلَ مباشـرةً، ولكنّه كان يعي تماماً أنّ هذه الرؤيا المناميّةَ هي وحيٌ قطعيٌّ ، وليس عليه إلاّ الامتثالُ. من هنا كان الاختبارُ في الابن ؛ فكان أكثر عسراً وأعلى صعوبةً؛ ولهذا استحق صفة الصِّدّيقية محصلةً.

صدّيقيّة يوسفَ عليه السلام:

يوسفُ نبيٌّ آخرُ من أنبياءِ الله أُسبغتْ عليه صفة الِّصدّيقيّة ، ولكنّ القرآنَ يعبّرُ بها هذه المرّة على لسان شخصٍ غيرِ الذات الإلهيّةِ، لا كما قرأنا في قصّة إبراهيمَ، وما سنقرؤه في مريمَ وإدريسَ عليهما السلام، ففي هؤلاء الثلاثةِ نجدُ التعبيرَ القرآنيَّ يُطلق لفظ (الِّصدّيق) وينسب قولَها للهِ تعالى. ولكنْ مع يوسفَ الأمرُ مختلفٌ، فقد حكاها القرآنُ عن الساقي الذي دخل السجنَ مع يوسفَ، ثم خرج وعاد إلى مكانتِهِ ساقياً للملِكِ. وقد جاء إلى يوسفَ ينشد تعبيرَ رؤيا كان قد رآها ذلك الملكُ الذي لم يقف على تعبيرِها عند كهنتِهِ ومعبّري الرؤى، فيدخل الساقي على يوسفَ ويخاطبُه بـ﴿أيُّها الِّصدّيق﴾. قال تعالى على لسانِهِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)﴾(سورة يوسف).

من أين استقى هذا الساقي تلك اللفظةَ، أو تلك الصفةَ ليطلقها على يوسفَ، ولتلمّسِ الإجابةَ نتتبعُ النصَّ القرآنيَّ، فنجد أنَّ الأمر يبدأ من بيتِ عزيز مصرَ الذي اتخذه وزوجتُهُ ابناً لهما. قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ (سورة يوسف). في الآيتين عددٌ من المؤشرات التي تُنبئُ عن صعوبة الموقف الذي وجد يوسفُ نفسَهُ فيه، وعن كيفية تصرّفِهِ إزاءَ ذلك الضغطِ النفسيّ. تبدأ من الفعل (راوَدَتْهُ) الذي يدلُّ على دعوته لنفسها بلطفٍ وتكرارٍ يصلُ حدَّ الإلحاحِ. فالمراودةُ أن تنازعَ غيرَك في إرادة الفاحشة فتريدُ غيرَ ما يريد.[ابن منظور، مادة ورد] وهي سيدةُ الموقف؛ لكونِهِ هو من في بيتها، مما يشعر بسطوتها وهيمنتِها. وكانت قد أحكمتْ إغلاقَ الأبواب، وهذا ما تؤشرُهُ صيغةُ

الفعل (غلّق). ثم دعوتُها إيّاه بشكلٍ صريحٍ مختصِرةً الموقفَ بقولها: (هيت لك)، أي (هلمّ) أو تهيّأتُ لك. فهذه المؤشرات تؤكد أنّها قدّمت له كلَّ شيءٍ، فالأمورُ متّسقةٌ وليس عليه إلاّ الاستجابةُ لنداء الغريزة، فيأتي الجوابُ صادماً: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. وهنا نلحظ أنّ التعبير القرآنيَّ يناسب تماماً بين قوّة الجوابِ وقوّةِ الموقف فقوله: (مَعاذ الله) ، ولم يقل: (أعوذ بالله) ؛لأنّ في اسم الفعل دلالةَ المبالغة وتأكيداً أنّ الاستجارة والاعتصام بالله وحدَهُ، فهو المنجي من الهَلَكة. وهي كلمةُ رفضٍ شديدةٍ. ويعلل هذا الرفضَ بمنطقٍ أخلاقيٍّ علّها ترجع إلى رشدها بقوله: ﴿إنّه ربّي أحسنَ مثواي﴾ إشارة إلى زوجِها الذي أكرمَهُ، وهذا ما نصّتْ عليه آيةٌ سابقةٌ ﴿وقالَ الذّي اشْتَراهُ لِامرَأَتِهِ أَكْرِمي مَثْواهُ﴾(يوسف من الآية ٢١). والمقصود بالربّ هنا هو المتعهّد بالتربية والرعاية، وليس المعبودَ. يريد بذلك: فإن فعلتُ الفاحشةَ كنت ظالماً نفسي بارتكابِ الإثمِ، وظالماً زوجَك بخيانتِهِ. وهذا المعنى أقربُ إلى طبيعة الموقف من أن يُقصدَ بالربِّ اللهُ تعالى فهو "يريد أن يتحدث مع هذه المرأةِ بالمنطق الذي تفهمُهُ لأنّها لم تكن مؤمنةً بالله بالمستوى الذي يردعها".[فضل الله، د،ت، ١٩٨/١٢] يزادُ على ذلك أنّ في الآيةِ مؤشراً آخرَ على أنّ يوسفَ لم يهمَّ بالفاحشة أساساً قولَهُ تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، فالتعبير القرآنيُّ لم يستعمل (لنصرفَهُ عن السوء) بعد أن رأى برهانَ ربّهِ أيّاً كان ذلك البرهان فقد كان عوناً له وتدخلاً إلهيّاً لتثبيتِ موقفِهِ. فهو لم يكن لديه ميلٌ أساساً للسوء والفحشاءِ، وهذا ينسجمُ مع بيان معنى قولهِ تعالى: ﴿إنَّهُ منْ عبادِنا المُخلَصين﴾ المحفوظين من جميع العوامل التي تنشأ منها المعصيةُ ويُرتكَب بسببِها الذنبُ سواء خارجية(الشيطان)[ينظر الحجر، ٤٢- ٤٣] أم داخلية (النَّفس الأمّارة بالسوء)[ينظر سورة يوسف، ٥٣]. فخاتمة الآية كانت العلّةَ الحقيقية التي ثبت بها صرفُ السوء عن يوسفَ.[الحيدري، ١٤٢٥، ٨٨-٩١] لأنّ 'المخلَصين'"هم الذين أخلصهم اللهُ لنفسه، فليس لغيره سبحانه وتعالى فيهم شركةٌ، ولا في قلوبهم محلٌّ فلا يشتغلون بغيرهِ تعالى" [الطباطبائي، ١٣٩٧، ١٦٥/١٢]. وكذلك شهادُتها نفسِها بأنّه استعصم: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ

الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ (سورة يوسف).

من هنا انطلقت صدّيقية يوسفَ، إذ كلُّ ما سبقها من مراحل قصّتهِ على الرغم مما فيها من مشقّةٍ وألمِ فراقِ أبيه، وخيانةِ إخوتِهِ وقسوتِهم عليه لا تتصلُ بصِدّيقيّتِهِ، على ما نرى، لأنّها أمورٌ حدثت ولم يكن له الخيارُ فيها، ولكنّ محكَّ إيمانِهِ وقوّةِ عقيدتِهِ والانقيادِ للفطرة السليمةِ بدأ من هذه المرحلةِ هو مقاومةُ ملذّات الحياة الفانيةِ ومغرياتِها وإيثارُهُ السجنَ بكلِّ قسوتِهِ وشدّتِهِ على الحياة المترفة وملذاتِها المحرّمةِ؛ للابتعاد عن كلّ ما يمكن أن يلوثَ الفطرةَ السليمةَ، وهنا تكمن الجرأةُ والشجاعة في اتخاذِ القرارِ الصوابِ، عليه أن يفرَّ إلى الله وطاعتِهِ، حتى لو كلّفه هذا الاختيارُ حرّيّتَهُ الجسديّة، فهو يرى عبوديتَهُ للهِ هي الحرّيّةُ الحقُّ وبابُها طاعتُهُ جلّ وعلا، فعليه أن يجسّدَ هذا العشقَ الإلهيّ والمعرفةَ الحقَّ بالله عملياً بالفرار من عبودية الجسد إلى حرّيّة الروح، حتى لو كانت بين جدران ضيّقة؛ لذا أصبح (صِدّيقاً)، وأعطته هذه الصفة قدّيسيّة؛ لأنّه زكّى نفسَه ونأى بها عن الفاحشة .

هذا هو المفهوم الخاص للصدّيقية التي أقرّها له القرآن الكريم بالمفهوم القرآنيّ، أما تعبيرُ الساقي بصفة (الِّصديقيّة) التي نصّ عليها القرآن الكريم هي الِّصديقيّة العامّة التي هي المبالغة في الصدق، أو صفة لمن يطابق عملُه قولَه أطلقها عليه بسبب ما لمسه منه من صدقٍ في إخبارهِ عليه السلام لمن معه في السجن، بما يأتيهم من طعامٍ قبل أن يأتيَهم، فضلاً عن تفسير الرؤيا التي رآها السجينان الذي جاء مطابقاً للواقع، يزاد على ذلك اعترافُ امرأة العزيز ببراءتِهِ وأنّه استعصم وأبى أن يطيعَها. وهذا ما كان شائعاً في المدينة بحسب التعبير القرآني على لسان نسوة المدينة .

ويتضح ذلك في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾ (سورة يوسف).

يمكنُ أن نخلص مما تقدم إلى أنّ للقصد القرآنيّ من ذكر لفظة (الِّصدّيق) ليوسف على لسان الساقي دلالتين :

الأولى: الدلالة العامة للصدّيقية وهي التي قصدها الساقي (الاتصاف بالصدق على نحو الملازمة ومطابقة القول الفعل).

والثانية: المقصد القرآنيّ وهو تثبيتُ هذه الصفة له وإقرارها من جهة، وتبيان المفهوم القرآني الخاص للصدّيقية التي هي الجرأة والشجاعة في اتخاذ القرار المناسب، والثبات على الصراط المستقيم الذي استحقّه فكان من أصحابِهِ الذين أنعمَ اللهُ عليهم بكونهِ من المخلَصين. لذا وصفه تعالى بأنّه من المحسنين، ويبدو أنّ الإحسان هنا هو إحسانُ التصرّف في المواقف الصعبة. قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف من الآية ٢١).

يمكنُ أن نظفرَ بدلالةٍ ثالثةٍ هي (القِدّيسيّة والعفّة والطّهارة)، فالِّصدّيق هو من الذين أنعمَ اللهُ عليهم، وهو من المخلَصين الذين لا يرتكبون الفواحشَ ولا يفكّرون بها أساساً، وهو من الذين يحسنون اتخاذ القرار الصحيح فيَثبتون على الصراط المستقيم، ويُثبتون أهليّتَهم للنعمةِ التي أنعمها الله عليهم؛ لأنهّم لم يضلّوا فيستحقوا غضبَ ربّهم، وهذا مصداقُ قولِهِ تعالى: ﴿اِهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِراطَ الذِّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم غَيْرِ المَغْضُوبِ عليهِم ولا الضَّالِّينَ (٧)﴾(سورة الفاتحة). فمن كان هذا ديدنُهُ كان أحقَّ بإثبات صفة الِّصدّيقيّة وتثبيتِها له في كتابِ الله عزّ وجلّ ليكونَ أسوةً حسنةً .

صِدّيقيّة مريمَ عليها السلام :

قال تعالى في مريمَ عليها السلام: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(المائدة ٧٥).

تبدأ قصةُ مريمَ منذ أن نذرتها أمُّها لله وهي مازالت حملاً في بطنها. اذ جاء فيها قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤ (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧)﴾ (سورة آل عمران).

لا يخفى أنّ السياق هنا سياقُ (الاصطفاءِ) وهي المرحلةُ الأولى في مسيرة صِدّيقيّة مريمَ عليها السلام. وفي الآيات أكثرُ من مؤشرٍ لذلك، أوّلُها اصطفاءُ (آلِ عمرانَ)، وقد عبّر عن أمّ مريمَ بامرأةِ عمرانَ ليوجدَ ربطاً بأنّها من الذرّيّة المُصطفاة. وكذلك استعمالُ الفعل من صيغةٍ والمصدرِ من صيغةٍ أخرى، وهذا له مقاصدُهُ فالفعلُ (تقبّل) تفعّل، ومعناه أخذ الشيء على وجهِ الرضا والعنايةِ الخاصة، وهذا ما يدلُّ عليه التضعيف. أمّا المصدرُ (القَبول) فهو مصدرُ (فَعَل)، فلم يستعمل (التقبّل) لأنّه لايريد تأكيدَ التقبّل ووصفَهُ بالحَسن، بل التعبيرُ يريد أن تقعَ صفةُ (الحَسن) على الرضان وليس على الأخذ؛لأنّ معنى (الَقبول) هو الرضا و(التقبّل) هو الأخذ، فتقبّلها برضا تامّ حسنٍ، وهو ما يدلّ على الاصطفاء الذي ذكره بعد قليل إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)﴾ (سورة آل عمران).

والاصطفاءُ الأول يختلف عن الاصطفاء الثاني؛ فالاصطفاءُ والتطهير هو تفسير تقبّلها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً. على حين أنّ الاصطفاء الثاني هو اختيارها من دون نساء زمانها لتكونَ أُمّاً لنبيّه من دون زوج. فيقول لها: "واختاركِ لتكوني أمّاً للمسيح، فيكون الاصطفاء في المقام غير الاصطفاء في صدر الآية الشريفة فإنه يختص ببعض الجهات وهو تقديم مريم عليها السلام على سائر النساء في الولادة من غير أب، ويشهد لذلك جملة من الآيات المباركة التي تدل على تكريمها في هذه المزية". [السبزواري، ١٩٨٤، ٣٣٣/٥، سورة الأنبياء:٩١، سورة التحريم: ١٢] تها (هو) أي تعهّدها، فنبتت (هي) نباتاً حسناً، نجد الفعل

متعدّياً، والمصدر لفعل لازم. وهنا أيضا يريد أن يصف النبات بأنه (حسن) وليس الإنبات. فالله أنبتها بأن هيّأ لها الظروفَ المناسبة، وهي نبتتْ نباتاً حسناً؛ ليكون لها حظٌّ من الفضيلةِ ولكن بتفضّل الله ورعايته .

والثاني هو تعهّد الله تعالى بقوله (كفّلَها)، أي اختار لها زكريّا ليكفلَها ويرعاها، ويبدو لنا أنّ هناك سببين: الأول أنّه كان من ذريّة هارونَ الذين كانوا يتولّون صيانةَ الهيكل اليهوديّ، وكان من الصالحين. والثاني أنّه لم يكن له ولدٌ حينئذٍ، وهنا ستكون رعايتُهُ لها رعايةً أبويّةً. بعد أن كانت كفالتُها سببَ الاختصام بين القائمين على الهيكل المقدّسِ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾ (سورة آل عمران).

نخلص إلى أنّ العناية الإلهية كانت مرافقةً لمريمَ منذ ولادتها، فاللهُ المدبّرُ لأمورِها بالأصالةِ وغيرُهُ بالتبعيَّةِ والإنابةِ. هذا كلُّه مقدّمةٌ وتهيئةٌ لها لتكونَ ذاتَ شخصيةٍ مستقلةٍ قادرةٍ على اتخاذ القرارِ فيما بعد، القرارِ الذي اصطفاها لأجلهِ وهو مكمن (صِدّيقيّة) مريمَ (عليها السلام) بالمفهوم القرآنيّ. في مشهد مواجهة الابتلاء الذي لابد منه ، وهو مشهدُ لقائها بروح الله واستعدادِها لحمل الرسالة العظيمة، وهي الحمل بنبيّ الله وكلمتِهِ (عيسى) من غير أبٍ .

ونرى في القرآن الكريم لوحتين لهذا المشهد: أولاهما مجملةً في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤)﴾ (سورة آل عمران).

وجاء المشهد الثاني في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ

هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)﴾ (سورة مريم).

هناك من يرى أنّ جبرائيلَ لم يكن وحدَهُ بل كان برفقتِه عدد من الملائكة بدليل قولِهِ تعالى: ﴿إذ قالت الملائكةُ﴾ في الآيتين (٤٢) و(٤٥) من آل عمران، ولكن في سورة مريمَ يصرّح بأنها رأت الروحَ الأمين وحدَهُ؛ لأنّ الخطاب كان أكثرَ دقّةً ﴿فأرسلنا إليها روحَنا فتمثَّل لها بشراً سوياً﴾، ويستمر الخطاب كلُّهُ للمفرد، ﴿قالت إنّي أعوذ بالرحمنِ (منك) إن (كنتَ تقيّاً)﴾؛ فالحوار كلُّه كان بين مريمَ والروحِ الأمين وحده، ومما دعاها إلى الارتياب ظهورُهُ لها بهيأةِ بشرٍ، إذ لم يظهر لها بهيأتِهِ المَلَكيّة، وهذا أدعى لأن يلتبسَ الأمرُ عليها في بادئ الأمر قبل عرض فحوى الإرسال والغرض منه، لأنّها تعوّذت عندما رأته وقبل أن يتكلّمَ. ويبدو أنّ التعبير القرآنيّ في سورة آل عمران جاء من باب الحديث عن المفردِ بصيغة الجمع، فعبّر بلفظ (الملائكة) بمعنى جنس الملائكة، وهي قابلت واحداً منهم. فلا داعي للتعوّذ لو أنّها رأت مجموعةً من الملائكة، فمن المحال أن يتبادرَ إليها الإحساس بإرادتهم السوء بها جميعاً. ونحسب أنّ الخطابَ كلَّه سيتغير حينئذٍ .

ويبدو أنّ اتخاذ القرارِ في هكذا موقفٍ ، وبتلك الكيفية للمرسَل هو الذي يحتاج إلى إيمانٍ وانقيادٍ وتسليمٍ منقطع النظير، ويبدو أنّ اتخاذَها القرارَ بالإيجاب جاء في اللحظة نفسِها، بقرينة استعمال (الفاء) التي تدلُّ على الترتيب من غير مهلة في جملة (فحملته) ولو أنها حملته بعد حينٍ لعطف بـ(ثُمَّ) مما يدلّ على أنّها اتخذت القرارَ بنفسِها ولم ترجع إلى زكريا أو لغيره لتستشيره؛ لتيقّنها أنّ هذا أمرٌ إلهيٌّ واجب الطاعة والتنفيذ. واتخاذ هكذا قرار يحتاج إلى جرأةٍ كبيرةٍ، وتسليمٍ وتصديقٍ مطلقين. مما يستلزم أنّها كانت تعي أنّها ستكون في لحظة ما في مواجهة المجتمع اليهوديّ المتعّصب، وعليها أن تترك الأمر لله تعالى، فهي فعلت ما أُمرت به .

ولا يعطينا هذا المشهد القرآنيّ إشارةً عن أيّةِ تطميناتٍ أو وعود من المَلَك لمريمَ بأنّها لن تُصابَ بسوءٍ، أو بقبول المجتمع لما ستأتي به، بمعنى أنّه لم يعطِها تصوراً عن ردّ فعل مجتمعها تجاه هذا الأمر، أما إخبارُها بالتصرف السليم في مواجهة المجتمع وما ينبغي لها أن تفعلَ فجاء بعد أن قضي الأمر، كانت قد حملت وأنجبت. [ينظر سورة مريم: الآيات ٢٢-

٣٣] إنّ هذا التصديقَ والجرأة في اتخاذِ القرار وعدمِ رفض الأمر الإلهيّ يحتاجُ إلى قوّةٍ وشجاعةٍ، وهذا ما أكسبها رتبة الِّصدّيقيّة. قال تعالى: ﴿ومريم ابنت عِمرانَ التي أَحْصَنَتْ فرجَها فَنفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدّقَتْ بِكلماتِ رَبّها وَكُتُبِه وكانتْ مِنَ القانتين (١٢)﴾ (التحريم). وهنا يكون التصديق ليس المبالغة في التصديق فحسب وليس الإيمان وحده، بل جسّدت التصديقَ عملياً من خلال الانقيادِ والتسليم والطاعة لله تعالى، وامتلاكِ الجرأة والشجاعة لاتخاذ قرارٍ استثنائيٍّ تتحملُ فيه المسؤولية الإلهية من دون الأخذِ بالحسبان أعراف المجتمع الذي كانت تعيش فيه، لإيمانها بأنّ الله سيتعهّد بالأمر، فتكون بمصافِّ الِّصدّيقين من الأنبياء، لأنّها وُضِعت في موضع الاختيار، واتخذتِ القرارَ الصحيح بشجاعةٍ وتسليمٍ. فكانت مصداقَ النبات الحَسن الذي وصفها الله به. وهذا هو جهدُها المخصوص الذي اكتسبته بنفسِها ، وهو ثمرةُ إخلاصها لله وتفانيها في طاعته. لذا عمد القرآن الكريم إلى إظهارها بصورة المرأة النقيّة العفيفة (المُحصِنة) ذاتيّاً: ؛ لأنها هي مَن أحصنت نفسَها. وهنا اكتسبت بذلك صفة (الِّصدّيقية) معنىً آخرَ هو العفّة والقداسة والطهارة، فالّصدّيقة قد ترتبط ذهنياً بهذه المعاني عندما تُذكَر مريمُ عليها السلام. وهي تلتقي بيوسفَ عليه السلام في صِدّيقيّتِه الخاصّة. وإن لم تخالف المعنى العام للصدّيقية .

صدّيقية إدريسَ عليه السلام :

لم يرد ذكرُ النبيّ إدريسَ عليه السلام سوى مرتين في القرآن الكريم وبشكل موجز في إشارةٍ سريعةٍ لصفاتِهِ؛ أولاهما قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا(٥٧)﴾ (سورة مريم).

وثانيهما قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾ (سورة الأنبياء).

ولم يذكر القرآنُ الكريم تفصيلاتٍ أكثرَ عنه عليه السلام، لا عن حياتِهِ ولا مواقفِهِ مع قومِهِ إلى غير ذلك مما ذكر لغيرِهِ من الأنبياءِ؛ وهذا لا يعني أنّه لم تكن له مواقفُ استثنائيةٌ، لكن هذا ديدنُ القرآن الكريم فقد يذكر نبياً من الأنبياء بآية واحدة أو بجزء من

آية على وفق ما تقتضيه الغاية المبتغاة من ذكره. على حين نراه يفرد لآخر سورة كاملة. أو يكرّر ذكره في أكثر من سورة ولا يتّصل هذا الأمرُ بأفضليّة هذا النبيّ أو عدم أفضليّة ذاك، بل يردُ ذكرُهُ على ما تقتضيه المقاصدُ القرآنيّةُ من الذكر. ولم نجد في المدوّنات التفسيريّة ما يمكن الركونُ إليه مما ذكر من تفصيلاتٍ حول حياته ، بل أكثرُها يبدو عليه الاختلاق والوضع، وليس له سندٌ يوثّقُهُ. وهذا ما يؤكدُهُ عددٌ من المفسرين.[الطباطبائي، ١٣٩٧، ٦٨/١٤، فضل الله، ٥٦/١٥] ومما لدينا من ذكرٍ له على قلّته قياساً بغيره نجده وُصِفَ بأكثر من صفةٍ: فقد كان صدّيقاً، وكان نبيّاً، وقد رفع مكاناً عليّاً، وكان من الصابرين ومن الصالحين. وأنّه من الذين أنعم الله عليهم ومن المجتبين. والاجتباء هو الجمع على سبيل الاصطفاء يصطفي ثم يجمعه لنفسِه فالله تعالى يصطفيهم ثم يخلصهم لنفسِهِ ثم يجتبيهم .

أما من أين اكتسب صدّيقيّته فليس أمامنا إلاّ أن نحملَ المجهول على المعلوم؛ لأنّ لدينا ثلاثةً من الصدّيقين الذين واجهوا مواقفَ استثنائية فثبتوا، واتخذوا قراراتٍ استثنائيّةٍ اتسمت بالجرأة والشجاعة، فجسّدوا الطاعةَ والانقياد بشكل عمليٍّ، وصدّقت أقوالَهم أعمالُهم حتى أضحوا تجسيداً لِلّصدّيقية فاستحقوا هذه المرتبةَ. وهذا يوافق وصفَهُ بأنّه من الصابرين، أي الذين صبروا وثبتوا في مواضع الابتلاء، فلابدمن أنّه قد مرّ بمواقفَ مماثلةٍ واتخذ موقفاً جريئاً وشجاعاً استحقَّ لأجلِهِ صِدّيقيّتِهِ، وإن لم يُفصح عنه القرآنُ، فاستحق أن يرفعَهُ الله مكاناً (عليّاً)، وقد استعمل صيغةَ (فَعيل) التي تشترك فيها المبالغة والثبوت، فهي من صيغ المبالغة عن اسم الفاعل، ومن صيغ الصفة المشبهة، استعملها للتعبيرِ عن الرفع إلى المكان العليّ ولم يقل (عالياً). فهذا المكانُ أو المرتبة علوُّها مبالغٌ فيه، وثابتٌ لا يتغير، وهذا لا يكون جزاءً لغير قرار صعبٍ في موقفٍ استثنائيٍّ كان قد اتخذَهُ هذا النبيُّ .

الملمح الثاني تعبيرُهُ عنه أنّه (من الصابرين)، وفي كلّ ماعرضناه من مواقفِ الصدّيقين نراها مواقفَ تحتاج إلى صبرٍ وثباتٍ، وليس أيَّ صبرٍ، إنّه الصبر على عاقبة ما يُتخذ من قراراتٍ على الرغم من صعوبتِها ومشقّتِها. الثبات على العقيدة ومواجهة من يشكك فيها. وهذا ما ينسجم مع معيار إطلاق وصف الصدّيق على ما تناولناه سابقاً. وقد حدّدنا

الدلالاتِ العامّةَ والخاصّةَ لها. فهو أحد مصاديقِها تلبّس بها وتلبست به. فثبتتْ له في القرآنِ الكريم ليمثّلَ الأسوةَ والمثالَ الذي ينبغي أن يُقتدى به .

المفهوم العام للّصدّيقيّة :

عند تتبّعِ هذه المفردةِ في النصوص القرآنيّة نجدها قد وردت مرةً أخرى بلفظٍ عامٍّ في نصٍ آخرَ هو قولُهُ تعالى: ﴿والّذينَ آمَنُوا بِاللهِ ورُسلِهِ أولئكَ هُمُ الِّصدّيقونَ والُّشهَداءُ عِنْدَ رَبّهِم لَهُمْ أجرُهُم ونورُهُم والذّينَ كفرُوا وَكَذّبوا بآياتِنا أولئكَ أَصحابُ الجَحيمِ﴾ (الحديد ١٩).

هناك رأيان في معنى الِّصدّيقين في هذه الآية :

الأول: يقول بأنّ الِّصدّيقيّة مقامٌ ومرتبةٌ مشاعةٌ وميسورةٌ لكلّ المؤمنين. أو لكلّ مَن آمن بالله ورسله. نعم يمكن الركون إلى هذا الرأي إن اقتطعنا الآيةَ من سياقها الذي وردت فيه، ويمكن أن تطلعَنا سورة الحديدِ على الجوّ العامّ للسورة لتضيءَ لنا معرفةَ مَن المقصود بـ"الذين آمنوا باللهِ ورسلِهِ". ولكن ما المقصودُ بالِّصدّيقين هنا؟

أولا: وردت هذه الآية في سياق الحثِّ على الإنفاق وبذل المال في سبيل الله، فالسورة تقرّر منذ مفتتحها بأنّ الملك لله، وأنّ الإنسان مستخَلفٌ على ما يملك. مقرناً الإنفاقَ بالإيمان بالله والرسول وهو من التقوى. وهو سبحانه يعدُّ إنفاقَهم ذلك قرضاً حسناً سيُردُّ إليهم مضاعفاً؛ زيادةً في حثّهم على الإنفاق في سبيل الله .

ثانياً: السورة مدنيّة وهو ما يدل عليه سياقها، وهناك من يقول بإجماع المفسرين على ذلك.[الطباطبائي، ١٣٩٧، ٧١/١٩] فما دامت مدنيّة فالمخاطبون بها هم مَن دخلوا الإسلام. وقد عبّر عنهم بـ"الذين آمنوا". ولكن نلحظ أنَّ هذه العبارةَ لم ترد في سياق المدحِ والثناء دائماً في سورة الحديد. فالفعل (آمن) في السورة لا يقتصر على التصديق بالله والاعتقاد فحسب، بل يتعداه إلى ما يترتّبُ عليه من آثارٍ، وإلاّ ما معنى أن يأمرَ المؤمنين بالإيمان في قوله تعالى: ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ(٧)﴾(الحديد). فالمقصود به الطاعةُ والانقياد للهِ ولرسولِهِ

و﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٨)﴾ (الحديد). الإيمان هنا طاعةُ الأوامر الإلهيّة. وليس الاعتقاد باللهِ لأنّهم مؤمنون بالمعنى العامّ (الاعتقاد)، ولكنّهم غير مطيعين؛ لذلك جاء الاستفهامُ الإنكاريُّ لتذكيرِهم بأنّهم آمنوا ابتداءً، وإلاّ لقال لهم (أطيعوا)، فالإيمان المنشود هنا الإيمانُ المقرون بالطاعة. وفي هذا السياق (الحثّ على الإنفاق)، لذلك يصف من أطاع أوامر الله وأنفق بأنّه (مؤمن)، يقول ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِإِيمانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)﴾ (الحديد)، بقرينة (يوم) المقصود به يوم القيامة. وقد عبّر عنهم في الآية التي تليها "الذين آمنوا"، ولكنهم هنا في سياق المدح لأنّهم أطاعوا، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ففازوا بالنور والجنة .

وهنا تعود فكرةُ القادةِ والأتباع، فالذين آمنوا هنا هم (الأتباع) وهم يوازون (مَن يُطعِ اللهَ ورسولَهُ) في سورة النساء. فليس كلُّ الذين آمنوا مؤمنين مطيعين للهِ ولرسولِهِ، منقادين الانقيادَ الذي يريده اللهُ ورسولُهُ أي الإيمان المرتّبة عليه آثارٌ عمليّة، ومن كان كذلك صحّ وصفُهُ بالمؤمن، "فالذين آمنوا مشمولون بالخطابات التوبيخية والتهديدية، بينما المؤمنون ممدوحون دوماً لأنّ تلك هي صفتُهم" [النيلي، ٢٠٠٨، ٧٣]، يقول في مورد التوبيخ في السياق نفسه ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(١٦)﴾ (الحديد). وفي مورد المدح يقول: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ١٣﴾ (الحديد). وهؤلاء هم المؤمنون الذين عملوا وأطاعوا، وهؤلاء أُلحقوا بالّصدّيقين المُنعَم عليهم (القادة) الى الصراط المستقيم إلحاقَ صحبةٍ لا جنسٍ .

ومما يؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه أغلبُ المفسرين الذين يرَون أنّ معنى قولِهِ : "أولئك هم الّصدّيقون والشهداءُ" إلحاقُهُم بالّصدّيقين والشهداءِ بقرينة قولِهِ "عند ربّهم "وقوله "لهم أجرُهم"، فهم ملحقون بالشهداء والصدّيقين، هم يُعطون مثل أجرهم ونورهم، فالضمير في لهم يعود على الذين آمنوا وفي أجرهم ونورهم يعود على الصديقين والشهداء، أي أنّ للذين آمنوا أجراً كأجر الّصدّيقين والشهداء ونوراً كنورهم.[الزمخشري، ٢٠٠١ :

٤٧٦/٤ الآلوسي، ١٤٠٤: ٢٧ / ١٨٢ وصدر المتألهين: ٦: ٢٢٩، والطباطبائي، ١٣٩٧: ١٩: ١٨٦] "فالمراد بالّصدّيقين بعضُ المؤمنين لا كلُّهم" [جويباري، ١٤٣١، ٥٣/٤٤ . [

وفي الآية تشبيهٌ حذفت أداتُهُ "تنبيهاً على قوّةِ المماثلة وبلوغِها في الاتحاد. وحاصل المعنى أنّ المؤمنين والمصدِّقين بآيات الله لهم من الأجر والنور ما لِلّصدّيقين والشهداء".[الطهراني، ١٣٣٧، ٥٣/١١] وإذا ما أطلقنا تجوّزاً عليهم لفظ (الّصدّيقين) فسيكون بالمعنى اللغويّ المتداولِ "كثير الصدق أو التصديق"، الذي هو نقيض الكذب، وهو المعنى العامُّ أو السقفُ الأدنى لِلّصدّيقية، فهي صدّيقيةٌ عرفيّةٌ تداوليةٌ، لا يخرجهم من مرتبة (الأتباع)، لا صِدّيقيةٌ بالمفهوم القرآنيّ؛ أي "الرتبة التي أنعمَ بها الله تعالى على أناسٍ مخصوصين صلحوا أن يكونوا قادةً للأمم يهدونهم إلى صراطِ الله المستقيم". فهؤلاء صِدّيقون بمفهومٍ عرفيٍّ وأولئك صِدّيقون بمفهومٍ قرآنيٍّ. وإن لم يسعفْنا السياقُ القرآنيّ على هذا التقسيم .

الخاتمة وثمرة البحث:

١. تضافرت الدلالة اللغوية العامة للفضة (صدق) ومشتقاتها التي أنتجها الاستعمال العربي واستخلصه أربابُ المعجمات من دورانِها في كلِّ ما يدلُّ على القوّة والصلابة والثبات والشجاعة، مع الدلالة الصرفية صيغة (فعّيل) التي تكتنز بالمبالغةِ وتكرارِ الإتيان بالفعل حتى تصلَ إلى رتبة الثبوت في الموصوف بها، تضافرت هاتان الدلالتان لتُقليا بظلالهما بشكلٍ مهيمنٍ على السياق الذي وردت فيه لفظة (الّصدّيق) في التعبير القرآنيّ؛ لتنتجَ لنا مفهوماً هو أقربُ إلى الاستعمالِ القرآنيِّ منه إلى الاستعمالِ اللغويِّ المتداول قبل القرآن. فصار بالمفهوم القرآنيّ مرتبةً ودرجةً منحها اللّه لمجموعةٍ من عبادهِ تفضّلاً منه وجزاءً لثباتهم في مواقف استثنائية .

٢. إنّ المفهوم القرآنيّ (للصديقين) يصدق على مجموعةٍ من الذين أنعمَ اللّهُ عليهم، وهم القادةُ إلى الصراط المستقيم، وهم ذوو صفاتٍ مخصوصةٍ فهم (المخلَصون، المصطَفَون، المجتَبَون)، وقد ابتلي إيمانُهم بمواقفَ استثنائيةٍ فاتخذوا قراراتٍ استثنائية جسّدوا فيها الإيمان انقياداً وتسليماً منقطعَ النظير، استحقوا لأجلِهِ أن ينالوا هذه المرتبة .

٣. إن هذه المرتبة لم تختصَّ بالأنبياءِ فحسب، بل شملت غيرَهم ممن صدقَ عليهم المفهومُ. ولم يختصَّ بالرجال دون النساء. وقد ذكر القرآنُ بعضَ مصاديقها تصريحاً وهم (إدريسُ، وإبراهيمُ، ومريمُ، ويوسفُ) عليهم السلام. ووجد البحث أنَّ هؤلاء هم مَن جسّد (المفهوم القرآني) للفظة الِّصدّيقين؛ فقد اشتركوا في مجموعة من السمات والظروف والمواقف التي كان عليهم أن يواجهوها، فاتخذوا فيها موقفاً شجاعاً جريئاً مغايراً للمألوف، فكانت الصدّيقية موقفاً عملياً لا محضَ اعتقادٍ كما فصّلنا في البحث. وهؤلاء مصاديقُ مصطلح الِّصدّيقين الوارد في سورة النساء. ولا يدّعي أحدٌ أنّها محصورةٌ بهؤلاءِ الأربعةِ، ولكنّهم هم مَن نصّ القرآنُ الكريم على صدِيّقيّتهم، ويمكن أن يدخلَ معهم من يكونُ في مرتبتِهم إذا ما توافرت فيه شروط (المفهوم القرآنيّ) لمصطلح الِّصدّيقيّة فكان "من القادةِ الذين أنعم الله عليهم بالاصطفاءِ، وقد مُحّص إيمانَهم بمواقفَ استثنائيةٍ فامتلكوا الجرأةَ والشجاعةَ في اتخاذ القرار المناسبِ لإثبات تسليمهم لله وطاعته .

٤. أما ماعدا هؤلاء ممن وصفوا بالِّصدّيقين فهم مُلحَقون بهم برتبة المعيّة لا الجنس. وهم المؤمنون المنقادون لله تعالى المطيعون للرسل والأنبياء على اختلافهم وهؤلاء هم (الأتباع). وعلى هذا فالالتحاق بالّصدّيقين فضلٌ إلهيٌّ يهبهُ لمن آمنَ وأطاعَ وعملَ. وهؤلاء هم مصاديقُ آية الِّصدّيقين في سورة الحديد، لأنَّ معنى الإيمان في هذه السورةِ دلّ على الطاعةِ والانقياد والتسليم واتباعِ القادة، لا الإيمانُ بالمفهوم العام أي بمعنى (الاعتقاد)، وهذا ما كشف عنه الجوُّ العام لسورة الحديد كما وضحها البحث .

٥. لا يمكن القول بالتفاضل بين النبوّةِ والِّصدّيقيّة لتقديمِ النبوّةِ حيناً، والِّصدّيقيّة حيناً آخرَ، لانّ لكلِّ سياقٍ سماتِه الخاصّة، فقد قّدم النبيّين على الِّصدّيقين في الحديث عن الترتّب بين مقامات الأولياء في الآخرةِ في سورة النساء، فالنبيّون أعلى درجةً، على حين أنّه قدّمها عند الحديث عن صفاتِ الأنبياء (إدريسَ وإبراهيمَ) عند اقتران الصفتين معاً في الحياة الدنيا، لأنّها سمةٌ مضافةٌ للنبيِّ الِّصدّيق تبياناً لخصوصيتِهِ ، لذلك عبّر عنها بالفعل (كان) للدلالة على كونِه هذا في الحياة الدنيا دون مرتبة الآخرة، فلا تفاضلَ بين الصفتين بل هناك تكاملٌ بينهما .

التوصيات :

درس البحث المفهومَ القرآنيَّ للِّصدّيقين من خلال النصوص التي وردت فيها لفظةُ الِّصدّيقِ صراحةً وتتبَّعَ مصاديقَها للظفر بالسماتِ الخاصّة بالمفهوم القرآنيِّ. ولم يأخذ البحثُ بالحسبان الأحاديثَ النبويّةَ والرواياتِ التي نصّت على صِدّيقين لم يُذكروا تصريحاً في القرآن الكريم، لأنّه تبعَ منهج تفسير القرآن بالقرآن ابتداءً. لذا نوصي ببحثِها في بحثٍ مستقلٍّ لعلّه يظفرُ بدلالاتٍ أخرَ تزيدُ البحثَ العمليَّ فائدةً جديدةً .

المصادر

القرآن الكريم

١. الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) أدب الكاتب: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦٣م.

٢. ابن السِكيّت، يعقوب بن اسحاق (٢٤٤هـ): إصلاح المنطق تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

٣. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ط١،مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

٤. :البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي (ت٧٩١هـ)، أنوار التنزيل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة،ط١،دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م.

٥. جويباري، يعسوب الدين رستكار ، البصائر، المطبعة الاسلامية، قم، ١٤١٣هـ.

٦. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠م.

٧. الهروي، لأبي سهل محمد بن علي (٤٣٣هـ)، التلويح في شرح الفصيح، نشر محمد عبد المنعم خفاجي د.ت.

٨. الصبان، محمد بن علي (ت ١٧٩٢م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة دار إحياء الكتب العربية،مصر،١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م.

٩. ، الآلوسي، أبو الفضل محمود (ت ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق: محمد السيد الجليند،ط٢، مطبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧.
١١. الجياشي، محمود نعمة ، عصمة الأنبياء في القرآن(مدخل الى النبوة العامة)، محاضرات السيد كمال الحيدري، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان،ط١، ١٤٢٥هـ
١٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): العين، تحقيق:د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مطبعة دار الهلال،د .ت.
١٣. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل، الفروق اللغوية ، ط٣،مطبعة الآفاق الجديدة،بيروت، ١٩٧٩م.
١٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل ضبطه وصححه: عبد الرزاق المهدي،ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
١٥. الطبرسي، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٦. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب ط١، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،د .ت.
١٧. السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية ، ط١، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ١٩٨١م.
١٨. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون،ط٢ ،مطبعة الجيل، بيروت،١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٩. الطهرانيّ، مير سيد علي الحائري (ت١٣٤٠هـ)، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، مطبعة دار الكتب الإسلامية،طهران، ١٣٣٧م.
٢٠. فضل الله، محمد حسين ، من وحي القرآن، ط٣، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د . ت.
٢١. السبزواري، السيد عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القران، مطبعة الاداب، النجف الأشرف، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٢. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت١٤٠٢هـ):الميزان في تفسير القرآن، ط٣، مطبعة طهران، دار الكتب الاسلامية،١٣٩٧.

٢٣. النيلي، عالم سبيط ، نظام المجموعات الكامل، دار المحجة البيضاء،ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

Sources

KSU Quran

1. Al-Alusi, Abu al-Fadl Mahmoud (d. 1270 AH): The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Mathani, edited by: Muhammad al-Sayyid al-Jaland, 2nd edition, Dar Revival of Arab Heritage Press, Beirut, 1404 AH.
2. Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Suhail, Linguistic Differences, 3rd Edition, New Horizons Press, Beirut, 1979.
3. Al-Baydawi, Nasir al-Din Abdullah bin Omar al-Shirazi (d. 791 AH), Anwar al-Tanzil, edited by: Abdul Qadir Arafat al-Asha Hassouna, 1st edition, Dar al-Fikr, Beirut, 1416 AH 1996 AD.
4. Al-Dinuri, Ibn Qutayba Abu Muhammad Abdullah bin Muslim (276 AH) Writer's Literature: Investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, 4th Edition, Commercial Library, Egypt, 1963 AD.
5. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (d. 175 AH): Al-Ain, investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi and Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Hilal Press, D.T.
6. Al-Gohari, Ismail bin Hammad (d. 393 AH), Al-Sahih Al-Jawhari, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil-Malayin Press, Beirut, 1407.
7. Al-Harawi, by Abu Sahl Muhammad bin Ali (433 AH), waving in Sharh Al-Faseeh, published by Muhammad Abdel Moneim Khafaji D.T.

8. Al-Indigo, Sbeit World, The Complete Group System, Dar Al-Mahjah Al-Bayda, 1st Edition, 1429 AH 2008 AD.
9. Al-Jiyashi, Mahmoud Nehme, The Infallibility of the Prophets in the Qur'an (Introduction to General Prophecy), lectures by Mr. Kamal Al-Haidari, Dar Al-Adwa, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1425 AH
10. Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Omar ibn al-Husayn (d. 606 AH), al-Tafsir al-Kabir, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Press, Beirut, 1421 AH 200 AD.
11. Al-Sabban, Muhammad bin Ali (d. 1792 AD), Al-Sabban's footnote on the explanation of Al-Ashmouni on the Alfiya of Ibn Malik, Dar Revival of Arabic Books, Egypt, 1336 AH 1918 AD.
12. Al-Sabzwari, Al-Sayyid Abd Al-Alaa, Mawahib Al-Rahman in the Interpretation of the Qur'an, Al-Adab Press, Najaf, 1404 AH 1984 AD.
13. Al-Samarrai, Fadhil, The Meanings of Buildings in Arabic, 1st Edition, helped by the University of Baghdad to print it, 1981.
14. Al-Tabarsi, Amin al-Din Abu Ali al-Fadl ibn al-Hasan (d. 548 AH), Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Dar Revival of Arab Heritage Press, Beirut, 1379 AH.
15. Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar (d. 538 AH), Al-Kashf for the facts of the revelation, controlled and corrected by Abd al-Razzaq al-Mahdi, 2nd edition, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1421 AH 2001 AD.
16. Fadl Allah, Muhammad Hussein, inspired by the Qur'an, 3rd Edition, Dar Al-Zahra for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Dr. T.
17. Ibn al-Skeet, Ya'qub ibn Ishaq (244 AH): Reform of Logic Edited by Ahmed Muhammad Shakir and Abd al-Salam Haroun, Dar al-Maaref, Egypt.
18. Ibn Faris, Abu al-Hussein Ahmad (d. 395 AH), Dictionary of Language Standards, edited and controlled: Abd al-Salam

Muhammad Haroun, 2nd edition, Al-Jeel Press, Beirut, 1420 AH 1999 AD.

19. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram (d. 711 AH), Lisan al-Arab, 1st edition, Dar Sader Press for Printing and Publishing, Beirut, d.t.
20. Juybari, Ya'soub al-Din Rustkar, Insights, Islamic Press, Qom, 1413 AH.
21. Shirazi, Nasser Makarem, The Ideal in the Interpretation of the Book of Allah Al-Manzil: 1st Edition, Al-Mission Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 1413 AH.
22. Tabatabai, Sayyid Muhammad Husayn (d. 1402 AH): Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an, 3rd Edition, Tehran Press, Dar al-Kutub al-Islamiyya, 1397.
23. Tehrani, Mir Sayyid Ali al-Haeri (d. 1340 AH), Collections of Pearls and Fruit Picks, Dar al-Kutub al-Islamiyya Press, Tehran, 1337 AD.